

## مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي

بحوث المؤتمر الذي نظّمه مركز دراسات الوحدة العربية،  
مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية  
(وهران - الجزائر)، الجمعية العربية لعلم الاجتماع (تونس)

تحرير وتقديم ساري حنفي، نورية بن غبريط - رمعون ومجاهدي مصطفى

(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٤). ٤٩٣ ص.

### أباهر السقا(\*)

أستاذ علم الاجتماع في دائرة العلوم الاجتماعية والسلوكية، جامعة بيرزيت.

الغربية وعلاقة التبعية مع المعرفة الاستعمارية المؤسسة لأليات نقل المعرفة في دول الجنوب ومنها تحديداً إنتاج المعرفة في الوطن العربي. ونقد الإنتاج البحثي والفكري. فيعرض الكتاب تكوّن العلوم الاجتماعية وتحديداً تطور علمي الاجتماع وعلم الانسان في كل من المشرق والمغرب العربي إما بحثاً بتاريخ تطور هذه العلوم وإمّا بالفحص ببنى التكوّن العلمي كما في حالة السعودية وإمّا تحليل الإنتاج المعرفي للباحثين مروراً بالإنتاج المعرفي الاجتماعي الفلسطيني.

كما يتناول الكتاب تجارب عينية كحالة الجزائر إما ممارسة وإمّا بالبحث في تجارب خاصة مثل حالة مجلة إنسانيات. ويقدم أيضاً مداخلات

يعرض هذا الكتاب مجموعة مداخلات لمجموعة باحثين في العلوم الاجتماعية من الوطن العربي، وهو نتاج حصيلة تعاون بين ثلاث مؤسسات بحثية هي مركز دراسات الوحدة العربية ومركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بالجزائر والجمعية العربية لعلم الاجتماع.

يعرض الكتاب في القسم الأول المرجعيات الغربية للمعرفة الاجتماعية للعلوم من خلال التعرّيج على عرض الأطر المرجعية لتكوّن المعرفة بُعيد ما درج تسميته «النهضة العربية» والتنوير بُعيد رحلات المؤسسين الأوائل وعلاقتهم بالمعرفة الغربية والتي تم التعامل معها كأطر مرجعية أو كنماذج أو كنفائض تؤسس لإعادة قراءة المدارس المعرفية

العراقي موضحة الدور المركزي لعلي الوردي في مأسسة علم الاجتماع العراقي، مشرعة السؤال عن حضور علم اجتماع عراقي والذي يلتقي بتساؤل سابق لعلي الكنز عن حضور علماء اجتماع وغياب لعلم اجتماع عربي. بينما يتطرق عبد الله الخليفة في الفصل الخامس إلى التكوين العلمي في السعودية حيث يظهر لنا الكاتب أثر الثقافة الآنية والمرتبطة بنزعة «الأسلمة» على العلوم الاجتماعية تصل حد الادعاء بأصالة هذا التوجه كما يوضح لنا في (ص ١٩٢).

أما في الفصل السادس فيقدم لنا كل من مجاهدي مصطفى وفؤاد بنورة مجموعة من التساؤلات المشروعة عن الأنثروبولوجيا/علم الإناسة في الجزائر من خلال تمحص مهنة الأنثروبولوجي وكذلك عرض النشاطات العلمية ودور الرساميل التكوينية لطلبة المتقدمين بالدراسات الأنثروبولوجية بالجزائر. وتظهر لنا المواضيع المدروسة في مجلة جزائرية عن طغيان الخصوصيات المحلية المدروسة من قبل الدراسين. ويعرض لنا عبد الحكيم الحسبان، بدوره، الخلفيات التاريخية لتشكيل البحوث الأنثروبولوجية والسوسيولوجية بالأردن وإشكالياتها وخصوصيتها الأردن كما يوضح في (ص ٢٢٥) فيصل لحد توصيفها كحالة اغترابية. وكما في حالة العديد من أرجاء مختلفة في الوطن العربي يتكشف لنا أن ثمة تنامياً لنزعة «أسلمة العلوم» والتي يمكن رؤيتها كموضة أشبه بطفرة للتماهي مع الخطاب السائد وتعبيراً عن الأزمة المتصاعدة بين صانعي الأفكار وتعميمها في المجتمعات العربية. وينتهي الحسبان

تساؤلية عن سوسيولوجيا العموم وآليات كتابة النصوص. والكتابات الجنوسية واستخداماتها في الوطن العربي. «الأحداث والانفاضات العربية» بدورها أيضاً هي محور قراءة في هذا الكتاب؛ ومواضيع البحث السوسيولوجي. وأخيراً يتناول الكتاب شهادات ورؤى لبعض المؤسسين.

يهتم الكتاب بفصوله المختلفة والمتنوعة بظروف إنتاج المعرفة الاجتماعية وواقع تدريسها وإنتاجها البحثي المؤسسي ثم يعرّج على تمحص قدرتها بإنتاج المعرفة الخاصة بها وبالفكر النقدي لها. في الفصل الأول يعرض سعد الدين إبراهيم مرجعيات العلوم الاجتماعية في الوطن العربي بالتركيز على غربية المصادر لمنشأ العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، وتحديداً ولع بعض المؤسسين بعلم الاجتماع الوضعي. في حين يعرض الفصل الثاني من الكتاب عبر مقاربة الهواري عدي الفراغات المعرفية من خلال نموذج محمد عبده وأشكال المعرفة عنده وفحص قدرته على القيام بقطيعة إبيستيمية ثم عرض التصورات المختلفة عن مشروع الفشل وتفحص أسباب إخفاقاته مع فتح التساؤلات عن العلاقة بين المفكر والمجتمع والظروف المنتجة لفكره وكذلك سير ثنائية المقدس والدنيوي.

أما في الفصل الثالث فيقدم أحمد موسى بدوي قراءة عن التكوين العلمي في العلوم الاجتماعية في «المشرق العربي» في حين تركّز مداخلته على دراسة الحالة المصرية وبشكل أقل سطووعاً على السودان. وتعرض لاهاي حسين في الفصل الرابع لتوجهات علم الاجتماع

ومنظمي الإصلاحات البيداغوجية واستحداث التخصصات وأزمة النماذج في الجزائر. ويتناول بالدراسة كل من الجيلالي المستاري ونورية بن غبريط - رمعون في الفصل الحادي عشر دراسة مجلة إنسانيات الجزائرية حيث يفتح لنا الفصل النقاش حول ثنائية الكتابة باللغتين العربية والفرنسية وتظهر المقاربة أن ثمة تنامياً للكتابات باللغة العربية مقارنة مع الماضي. مع ملاحظة سيطرة المحلي على مواضيعها؛ ما يشرعن السؤال القديم المتجدد عن انغزال علماء الاجتماع العرب في فضاءات جغرافية محلية. أما القسم الثالث من الكتاب فيفتح النقاش حول الأنثروبولوجيا وتحديداً الأنثروبولوجيا الدينية وطفان الفهم السياسي للدين.

ثم يعرض لنا ساري حنفي تجربة ذاتوية نقدية عن تجربته وترحاله بين دمشق والقاهرة ورام الله وبيروت مستعرضاً أهم المحطات المعرفية والبحثية له؛ ويفتح مجموعة من التساؤلات عن السوسولوجي الملتزم والتوقعات والسقف والارتباكات. أما في الفصل الرابع عشر فيعرض محسن بوغيزي مجموعة من المداخلات عن أسئلة الكتابة السوسولوجية نفسها وتفحص العلاقات بين الأطر النظرية وعلاقتها الشائكة مع أسلوب الكتابة، ويعرض نماذج لاستخدامات اصطلاحية سوسولوجية ودلالاتها وأنماط الكتابة المختلفة.

في الفصل الخامس عشر تعرض مي الدباغ مجموعة من المقاربات عن تدريس الدراسات الجنوسية واستخداماتها وإشكالية الترجمة والاستخدامات الاصطلاحية والاجتماعية لهذه المفاهيم.

بعرض مجموعة من المعوقات المشتركة مع فضاءات بحثية عربية أخرى مرتبطة بالتمويل ومواضيع البحث والتعامل المتحفي مع التراث.

أما في الفصل الثامن فيعرض ساري حنفي ماهية الإنتاج المعرفي السوسولوجي الفلسطيني وأثر الاهتمام الكوني المعولم بفلسطين في انتشار ظاهرة الأبحاث الممولة والمشروطة وشبه المشروطة ومحاولة إعادة بناء القضايا البحثية المجتمعية وفقاً لرؤية المانحين والممولين وكما يقول في (ص ٢٤٩) «نشوء فئة خبراء منهم تهتم بالبحوث السوسولوجية كونها أداة إنمائية لإدارة الأزمة الاجتماعية ولكن دون الانخراط في بحوث نقدية». وتجدر الإشارة هنا إلى أنه يمكن لنا الاتفاق مع ساري حنفي إزاء هذا التشخيص ولكن يجب الانتباه أيضاً إلى أن ثمة أعمالاً تنتمي إلى جيل جديد من الباحثين السوسولوجيين الفلسطينيين الذين يقدمون قراءات نقدية من دون الإدعاء بأنهم يشكلون مدرسة متكاملة. يتطرق الزبير عروس في الفصل التاسع إلى تاريخ الممارسة السوسولوجية وواقعها من خلال نموذج المدرسة الجزائرية، حيث يعرض في البداية مجموعة من الإرهاصات الخاصة بالنظرة الدونية للعلوم الاجتماعية؛ ثم يعرض أثر المدرسة الاستعمارية الفرنسية على المدرسة الجزائرية حيث يسعى العروس إلى عقد مجموعة من المقاربات مع الجار المغرب وكذلك تقديم مقاربات لعلماء اجتماع جزائريين.

وبعنوان مشابه مع مقارنة مختلفة يقدم لنا حسن رمعون رؤية أخرى عن العلوم الاجتماعية من منظور مؤسستي

الحوار يدور عن هذه الصعوبات لباحثين في مجتمع مستعمر والذي تتطلب منهم شروط الوضعية الاستعمارية التي يعيشونها الذهاب بعيداً في التدخل المجتمعي مما يطرح العلاقة الجدلية بين الباحث ومجتمعه باعتباره فاعلاً اجتماعياً. كما يفتح الكتاب أمام الباحثين الجدد في العلوم الاجتماعية تصورات مهمة حول التحولات البنيوية السلطوية بأشكالها الاستبدادية التي نشأت في دول ما بعد الاستقلال وعلاقتها لاحقاً بالسلطات الدينية حيث تظهر لنا العديد من قراءات الباحثين عن البحث السوسولوجي في الوطن العربي عن عدم قدرتهم على المساهمة في المناقشات العامة ونشوء شرائح جديدة مرتبطة بسياسات التمويل البحثية والمرتبطة بالمؤسسات المهيمنة المعولمة وانفصالهم عن مجتمعاتهم، وأخيراً غياب العلاقات التواصلية بين الباحث العربي.

كما إن هذا الكتاب يلتقي مع تساؤلات كونية أخرى في العالم حول أهمية العلوم الاجتماعية ودورها وتمثلاتها المجتمعية؛ حيث تعاني العلوم الاجتماعية أزمة عالمية، ولكنها هنا في هذا الكتاب تفتح التساؤلات عن أزمته الأساسية بعدم قدرتها على إنتاج المعرفة عن مجتمعاتها وتعيد السؤال المتجدد عن كيفية النظر إلى مجتمعات الباحثين الاجتماعية العرب بعيونهم لا بعيون الآخرين. وأخيراً يتناول الكتاب أيضاً قضايا تكوين الجماعات العلمية العربية وتوسع مسائل حيادية الباحث واقتراجه من كينونة الفاعل الاجتماعي وكذلك قضايا الالتزام الأيديولوجي والمجتمعي.

في حين يخصص الفصل السادس عشر لقراءة سوسولوجية عن ما اصطلح على تسميته «الثورات العربية». أما الفصل السابع عشر فيعالج موضوع سوسولوجيا الالتزام. ينتهي الكتاب بتقديم مجموعة من الشهادات المهمة لأحد أهم علماء الاجتماع العرب الطاهر لبيب الذي يعرض تجربته فاتحاً للقارئ مجموعة تساؤلات عن الحميمية وإشكالية المسافة بين البحث والكتابة، وينتهي به السؤال جمالياً عن علاقة المضمون بالشكل ومحتوى النصوص وكيفيات بنائها وتمثلاتها.

هذا الكتاب إذاً يفتح الحوار حول علموية العلوم الاجتماعية عبر تمحيص موضوعاتها؛ مروراً بالمنهجيات وأدواتها التفسيرية وكذلك ثنائيات المعرفة والأيديولوجيا، تأصيل العلوم واغترابها وإن لم تتطرق إليها بشكل واضح. وتكمن أهمية الكتاب في قدرته على إعادة فتح النقاش عن التساؤلات القديمة المتجددة حول القطع الإيبستيمولوجي المعرفي بمنطق باشلار وعلم اجتماع المعرفة. يكتسب الكتاب أهمية بالغة لمحاولته تقديم قراءة نقدية عن العلوم الاجتماعية في الوطن العربي والمساهمة في تطويرها وتزويدها بقراءات تحليلية وتفسيرية.

يفتح ساري حنفي السجل من جديد حول سوسولوجيا العموم مستعيراً هذا التصور من مايكل بوراوي وتصنيفاته الأربعة (ص ٤١ - ٤٢) ويفتح معها التساؤلات عن ماهية عالم الاجتماع وعلاقته بالواقع الاجتماعي وتدخله في القضايا المجتمعية العامة. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه أثناء لقاء بوراوي بنظرائه في جامعة بيزيت بفلسطين المستعمرة، كان